مجلة العلوم الأنسانية
Journal of Human Sciences
www.Suj.sebhau.edu.ly
Received 1/1/2016 Revised 1/5/2016 Published online 11/1/2017

تغير الصيغ الصرفية في القراءات القرآنية وأثره الدلالي

يوسف عبد الرزاق عبد السلام العربي*

كلية الاداب /جامعة

المُستخلص

يعد الصوت اللغوي عصب الكلام ومادته الأساسية، ومن خلال تعاضد الأصوات وتركيبها تنتج الكلمة التي تعد اللبنة الأولى في التركيب اللغوي، وهو يلي هذا البناء الصيغي أو الصرفي للكلمة، حيث تصاغ الكلمة وفق أحد الأبنية الصرفية، حيث تتم دراسة وتحليل الكلمة من جانبين: (الأول): جانب الصيغة الصرفية؛ وهو يمثل البناء الأصلي للكلمة، و(الثاني): جانب الوزن الصرفي، وهو يمثل البناء المتغير للكلمة، وفيه يتم بيان ما حدث على البناء الأصلي للكلمة من تغيرات صرفية بالحذف أو الزيادة، أو الإعلال أو الإبدال، أو غير ذلك.

وهذا البحث يتناول دراسة التغير الصرفي لبناء الكلمة في القرآن الكريم وأثره في دلالة الكلمة القرآنية خاصة، ودلالة الآية عامة، وستمثل القراءات القرآنية المجال التطبيقي لهذه الدراسة، نظرا لما احتوته تلك القراءات من تنوع وتعدد في الأبنية الصرفية.

مقدمة

كلمة الصيغة في اللغة مشتقة من صاغ الشيء يصوغه صَوغا إذ هَيَّأه وسبكه على مثال مستقيم، والصيغة الصرفية عند النحاة تعبير مرادف للبناء الصرفي للكلمة، وقد عبر ابن الحاجب عن ذلك بقوله:" المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها، مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه "[21]، وعند المحدثين تعرف الصيغة بأنها" مبنى صرفي يمثل القوالب التي يصب فيها الصرفيون المادة اللغوية، ليدلّوا بها على معان معينة ومحددة لما يدور بخلدهم، وما تتفتق عنه أذهانهم وأفكارهم"[3]، وعلى هذا يمكن تحديد "ماهية الصيغة بأربعة أمور هي:

1- هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها.

2-كون هذه الهيئة مثالا يحتذى ويصاغ على هيئته.

3-كونها متصرفة ودالة على أصل اشتقاقي صيغت منه.

4-كونها دالة على معنى وظيفي تفيده الصيغة أو القالب الصرفي"[4].

وتؤدي الصيغ الصرفية وظيفة لغوية تختلف عن وظيفة الميزان الصرفي، فوظيفة الصيغة بيان المعنى الدلالي الصرفي للكلمة؛ بينما يناط بالميزان الصرفي بيان الصورة الصوتية النهائية للكلمة كما تنطق، فوظيفة الصيغة دلالية، ووظيفة الميزان الصرفي شكلية[5] .

توجد محاولات جادة وعميقة عند اللغويين القدماء لاستكناه طبيعة العلاقة بين الصيغ الصرفية وما تحمله من دلالة ذاتية، عبروا عنها بمصطلح (معاني الصيغ)، غير أنه غلب على منهجهم تتبع الجوانب الشكلية لتلك الصيغ؛ كذكرهم لأنواع الصيغ، وقواعد صوغها، وأيها قياسي وأيها مسموع، ولم يعطوا اهتماما كبيرا لمعانيها ودلالاتها "ولا أقول إنهم أغفلوا المعنى البتة بل هم ذكروا

أحيانا قسما من معاني الصيغ؛ فقد ذكروا معنى الفَعالة والفَعلان والفَعال، ومعاني أبنية أخرى في المصادر، وذكروا المعاني العامة لقسم من أبنية الصفة المشبهة، وقد اجتهد قسم منهم في تفسير قسم من معاني أبنية المبالغة وغيرها من البنية، إلا أن البحث لا يزال ناقصا غير مكتمل"[6] .

وتجدر الإشارة هنا إلى قضية مهمة، وهي أن المعاني التي تحملها الصيغ الصرفية في صورتها الإفرادية إنما هي دلالة عامة مجردة، بمعنى آخر أن إدراكنا لمعاني الصيغ هو في حقيقته إدراك لمعانيها الوظيفية العامة، فمثلا

الدلالة العامة للاسم هي الاسمية، والدلالة العامة للفعل هي الفاعلية، فالاسمية والفاعلية والمفعولية، ....إلخ هي معاني وظيفية تدل عليها القوالب والصيغ الصرفية، وهي دلالات ومعاني غير محددة، لكنها متصورة في العقول قبل النطق بتلك الصيغ في صورتها الإفرادية، وتختلف هذه المعاني والدلالات للصيغ الصرفية في حالة التركيب عنها في حالة الإفراد[7]، ومن هنا يمكن القول بأن للصيغ الصرفية دلالتان : الأولى: (دلالة إفرادية)، تعبر عنها

الصيغ الصرفية من خلال معانيها العامة والمجردة، و (الثانية) دلالة تركيبية، تعبر عنها من خلال دخولها في السياق والنظم بما

يشتمل عليه من قرائن الحال والمقام التي تدل على مقصد المتكلم من كلامه[8] .

أمثلة تطبيقية للتغير الصرفي في القراءات القرآنية:

اشتملت القراءات القرآنية على عدد كبير من الظواهر والقضايا الصرفية التي شكلت محورا هاما في التحليل الصرفي لآيات وهذا ما سنبين شيئا منه في هذا البحث من خلال سرد بعض الآيات التي تتمثل فها ظاهرة التغير الصرفي، ونبين أثر ذلك في تفسير الآية ودلالتها، مستنيرين في هذا البيان بما ورد في كتب التفسير، والكتب التي أُلفت في توجيه القراءات، ولما للجانب الصوتي من أهمية في بناء الكلمة اتجه البحث إلى بيان التركيب المقطعي[109] للكلمة التي ورد فيها تنوع قرائي.

1- ملك – مالك

قال تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)(الفاتحة:3) .

وردت في هذه الآية قراءتان: فقد قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر (مالك) بإثبات ألف في بنية الكلمة، وقرأ باقي القراء (ملك) بحذف الألف[11] .

التحليل المقطعي لبنية الكلمتين:

(مالك): ص ح ح + ص ح + ص ح.

فهذه الكلمة تتكون من ثلاثة مقاطع هي: طويل مفتوح + قصير + قصير.

(ملك) : ص ح + ص ح + ص ح .

هذه الكلمة تتكون من ثلاثة مقاطع هي: قصير + قصير + قصير.

والذي نلاحظه من هذا التحليل المقطعي أن عدد المقاطع في الكلمتين متحد، والخلاف فقط في نوعية المقاطع؛ فالكلمة الأولى تتكون من مقطع طويل مفتوح إضافة إلى مقطعين قصيرين، والكلمة الثانية تتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة.

وقد أثر هذا التغيير الصرفي في دلالة الكلمة، ومن ثم دلالة الآية، فمن قرأ بإثبات الألف فذلك" لأن الوصف بالمالك أعم منه بالملك ، لأنه ينطلق _ كذا _ على كل شيء، فالله تعالى مالك كل شيء، والمعنى في الآية أنه يملك الحكم في يوم الدين، فالملك إنما يكون مع الناس، والمالك مع غيرهم، يقال: هو ملك الناس ومالك الدراهم، والله تعالى مالك للناس ولغيرهم"[12]، ومن قرأ بحذف الألف (ملك) فذلك " لأن ملكا يجمع مالكا، ومالكا لا يجمع ملكا، ثم إن ملكا أبلغ في المدح؛ والآية إنما نزلت في المدح بدلالة ما قبلها، والربوبية والملك متشابهان، ولا يكون ملكا حتى يكون مالكا لكثير من الأشياء، والمعنى: الملك في يوم الدين "[13]، وقيل في الفرق بينهما أن " الملك ملك للرعية، والمالك مالك للعبيد، والعبد أدون حالا من الرعية، فوجب أن يكون القهر في المالكية أكثر منه في الملكية، فوجب أن يكون المالك أعلى حالا من الملك "[14]، ويتحدث الشوكاني عن فرق دلالي باعتبار تعلق الوصفين بالله تعالى فيقول:" والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته، والمالك صفة لفعله "[15].

ويمكن إضافة إلى ما سبق أن يكون المعنى على قراءة (مالك) أن الله تعالى مالك للزمن أو الوقت الذي هو يوم القيامة[16]، فهي إشارة إلى الملكية الزمانية، إذ اليوم هو الزمن المحدد ببداية ونهاية، أما (ملك) فهي للدلالة على تفرد الله تعالى بملكية الأعيان والمخلوقات في ذلك اليوم، أي هو الملك في يوم الدين، لا ملك سواه، والقراءتان متكاملتان؛ فالله هو الملك في يوم القيامة، وهو المالك له، يقول الشعراوي: " إذا فالحق تبارك وتعالى مالك يوم الدين؛ أي الذي يملك هذا اليوم وحده يتصرف فيه كما يشاء، وإذا قيل ملك يوم الدين؛ فتصرفه أعلى من المالك؛ لأن المالك لا يتصرف إلا في ملكه، ولكن الملك يتصرف في ملكه وملك غيره

"[17]، وهذه الآية دالة على أمرين: أولهما إثبات المعاد يوم القيامة، وثانيهما الدلالة على الترغيب والترهيب، لأن المؤمن إذا يرجو في يوم القيامة رحمة الله، ما يجعله يطمع في الفوز بالجنة، وهي تدل على الترهيب لأنه يخاف من عقاب الله له، ومن الدخول إلى النار[1918] .

2- حُسْنا – إحسانا

قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً) (العنكبوت:8).

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (إحسانا) بإثبات الهمزة والألف، وقرأ الباقون (حسنا) بحذف الهمزة والألف[20] .

التحليل المقطعي لبنية الكلمتين:

(حسنا): ص ح ص + ص ح ح .

وتتكون من مقطعين : قصير مغلق + طويل مفتوح .

(إحسانا) : ص ح ص + ص ح ح + ص ح ح .

وتتكون من ثلاثة مقاطع : قصير مغلق + طويل مفتوح + طويل مفتوح .

وقد اختلفت البنية المقطعية للكلمتين من حيث العدد، فنجد أن كلمة (إحسانا) زادت في مقاطعها عن كلمة (حسنا)، وذلك راجع إلى الزيادات التي طرأت على بنية الكلمة، وأما من حيث نوعية هذه المقاطع فهي إما قصيرة مغلقة، أو طويلة مفتوحة.

ويبدو أن هذا الاختلاف في البنية المقطعية قد انعكس على دلالة كل من الكلمتين، فلكل منهما دلالته الخاصة على المستوى المعجمي، وهو ما انعكس بدوره على دلالة الآية.

فالحُسْن مصدر حَسَنَ وحَسُنَ، وهو في اللغة ضد القبح ونقيضه[21]، وهو كل أمر مبهج مرغوب فيه، وغالبا ما يستخدم في عرف العامة فيما يستحسنه البصر، وأكثر الاستخدام القرآني فيما يستحسن من جهة البصيرة[22] .

وأما الإحسان فهو مصدر أَحْسَن، وهو ضد الإساءة ونقيضها، وهو فوق العدل، الذي هو إعطاء أكثر مما هو واجب، وأخذ الأقل مما له[23] .

وقال بعض أهل اللغة (حَسَن و(إحسان) بمعنى واحد[24]، والراجح أن بينهما فرقا كما تبين آنفا، ويؤكد ذلك أن الزيادة في المبنى يتبعها زيادة في المعنى، وإذا كان كذلك فمعنى الآية على قراءة (حُسنا) أن الله تعالى يأمر الأبناء بمعاملة آبائهم بكل أمر حسن يفرح الأبوينمن الأقوال والأفعال، والنهي عن معاملتهما بالقبيح من الأقوال أو الأفعال، أي " ليأت في أمرهما أمرا ذا حسن، أي ليأت الحسن في أمرهما دون القبيح"[25].

وأما على قراءة (إحسانا) فمعنى الآية الأمر بمعاملة الوالدين بكل أمر حسن، والنهي الإساءة إلهما بالأقوال أو الأفعال، أي "أمرناه بالإحسان، أي ليأتي الإحسان إليهما دون الإساءة "[26]، بل والمبالغة في الأقوال والأفعال الحسنة بحيث لا يقتصر فيها على ما هو واجب فحسب؛ وإنما يتجاوز الواجب إلى فعل كل ما فيه برهما ورضاهما مهما صغر هذا العمل، ذلك لأن الإحسان كما مر بنا هو إعطاء ما فوق الواجب.

(3)- دفاع – دفع:

قال تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)(البقرة:252)

في كلمة (دفاع) قراءتان، فقد قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب (دفاع) بإثبات ألف، وقرأ الباقون (دفع)، بحذف الألف[27].

التحليل المقطعي لبنية الكلمتين:

(دفاع): ص ح + ص ح ح + ص ح .

فهي كلمة تتكون من ثلاثة مقاطع هي: صغير + طويل مفتوح + قصير.

(دفع) : ص ح + ص ح + ص ح .

وهذه الكلمة تتكون من ثلاثة مقاطع قصيرة.

فالكلمتان اتفقتا في عدد المقاطع، واختلفتا في نوعيتها.

وكما نلاحظ فإن الكلمتين اتفقتا في عدد وحدات البنية المقطعية سواء حذفت الألف أم أثبتت، وفي رأيي أن في هذا إثبات لوحدة الجذر وتقارب المعني وليس تطابقه، فلا شك في أن أي زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى، وقد أثبتت الألف في إحدى الكلمتين، وحذفت من الأخرى، ولكل منهما استقلالية في المعنى، وقد ذكرت كتب التوجيه اللغوي للقراءات تعليلات لغوية للاختلاف بين القراءتين، فقراءة (دفاع) يجوز أن تكون" مصدرا لفعل، نحو: كتب كتابا، ويجوز أن تكون مصدرا لفاعل، كقاتل قتالا، .... وليس فاعل ههنا مما يكون فيه الفعل مني اثنين، لكن دفع ودافع بمعنى واحد"[28]، وأما من قرأ (دفع) فذلك " لأنه مصدر دفع دفعا، كالضرب الذي هو مصدر ضرب ضربا"[29]، ولا أميل إلى القول بأن المعنى واحد في كلتا القراءتين، وبأن المفاعلة في (دفاع) ليست على بابها من حيث تطلب الاشتراك بين اثنين ، فقاعدة (الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى) ترد ذاك القول، وأما القول بأن المفاعلة ليست على بابها، فليس له حجة من حيث اللغة لأن الأصل إعمال القاعدة ، ولا محوج ههنا لإخراج القاعدة عن أصلها، وربما الذي جعلهم يقولون بإخراج المفاعلة عن بابها هو تنزيه الله تعالى عن أن يدافعه أحد، وقد رد ابن عاشور على هذه الشبهة عند تفسيره لهذه الآية عندما تحدث عن معنى إضافة المصدر – دفاع – إلى الله فقال: " وإضافته إلى الله مجاز عقلي كما هو في قوله تعالى: (إن الله يدافع عن الذين أمنوا) أي يدفع، لأن الذي يدفع حقيقة هو الذي يباشر الدفع في متعارف الناس، وإنما أسند إلى الله لأنه الذي قدره وقدر أسبابه، ولذلك قال (بعضهم ببعض) فجعل سبب الدفاع بعضهم .... ومعنى الآية أنه لولا وقوع دفع بعض الناس بعضا آخر بتكوين الله وإبداعه قوة الدفع وبواعثه في الدافع لفسدت الأرض، أي من على الأرض "[30]

ويظهر لي أن المفاعلة في هذه الآية على بابها وأصلها في تطلب طرفين كل واحد منهما يدفع الآخر، فالآية جاءت في سياق الحديث عن فريقين جرى بينهما قتال، هما جالوت وجنوده من جهة، وطالوت وجنوده من جهة أخرى، فإذا قد حصلت المفاعلة والمقاتلة بين الفريقين، لأن كل منهما كان يقاتل الآخر ويدافعه، فالمقصود بالناس هنا جالوت وطالوت وجنودهما على وجه الخصوص، ثم عامة من كان على مثل حالهما، يقول الفخر الرازي مقررا حصول معنى المدافعة حقيقة في هذه الآية :" والقول الثاني قول من جعل دفاع من دافع، فالمعنى أنه سبحانه إنما يكف الظلمة والعصاة عن ظلم المؤمنين على أيدي أنبيائه ورسله وأئمة دينه، وكان يقع بين أولئك المحقين، وأولئك المبطلين مدافعات ومكافحات، فحسن الإخبار عنه بلفظ المدافعة "[31]، ويقول الآلوسي أيضا:" (ولولا دفاع الناس بعضهم)، وهم أهل الشرور في الدنيا أو في الدين أو في مجموعهما (ببعض) أخر منهم بردهم عما هم عليه بما قدره الله تعالى من القتل، كما في القصة المحكية "[32]، ويمكن ملاحظة فرق في دلالة المفردتين وهو أن الدفع لا يشترط فيه ما يشترط في المدافعة من تطلب طرفين يتدافعان، إذ الدفع يمكن أن يكون من أحد الطرفين دون أن يكون هناك مدافعة من الطرف الثاني .

(4)– يقتلون _ يقاتلون:

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)(آل عمران:21) .

هذه الآية في وعيد صنف من أعداء الله من اليهود والنصارى، الذين كانوا حربا على رسل الله تعالى وأتباعهم، فقاتلوهم وقتلوهم، وقد جاء في كلمة (يقتلون) الثانية قراءتان؛ الأولى بإثبات ألف بعد القاف(يقاتلون)، والثانية بحذفها (يقتلون)، فبإثبات الألف قرأ حمزة، وبحذفها قرأ الباقون[33] .

التحليل المقطعي لبنية الكلمتين: (يقتلون): ص ح + ص ح + ص ح + ص ح ح + ص ح .

فهذه الكلمة تتكون من خمسة مقاطع؛ ثلاثة منها قصيرة (ص ح) + مقطع طويل مفتوح (ص ح ح).

(يقاتلون): ص ح ح + ص ح + ص ح ح + ص ح.

وتتكون هذه الكلمة من أربعة مقاطع؛ مقطعان من الطويل المفتوح (ص ح ح)، ومقطعان قصيران (ص ح) .

ونلاحظ اختلاف البنية المقطعية بين الكلمتين، مع اتفاقهما في نوعية المقاطع.

وعلى كل من اختلاف الصيغتين فرق دلالي؛ فعلى قراءة (يقاتلون) تكون الصيغة اسمية تدل على المفاعلة، والمعنى أن أولئك الصنف من اليهود والنصارى كانوا يقاتلون من خالفهم من الآمرين بالقسط فيحدث بين الفريقين صراع ومقاتلة؛ لأن المقاتلة تكون من فريقين؛ وكما قتلوا الأنبياء من قبل كذلك قتلوا الآمرين بالقسط لأنهم" وافقوا الأنبياء في الأمر بالقسط من الناس قد وافقوا الأنبياء في الأمر بالقسط، وكبر عليهم مقامهم وموضعهم فقتلوهم كما قتلوا الأنبياء"[34] .

أما من قرأ بحذف الألف فالصيغة فعلية، وفيها دلالة على أن أولئك الصنف كانوا يقتلون الآمرين بالقسط حتى وإن لم يقم هؤلاء بمقاتلة أولئك؛ فهم يقتلونهم حتى في حال المسالمة؛ وذلك بأن يقتلوهم غدرا وخيانة، فالمقاتلة من اثنين؛ والقتل من واحد[35].

وفرق دلالي آخر هو أن المقاتلة لا تستلزم القتل، فليس كل من قاتل أحدا يقتله، وفي هذا اتساع في دلالة الآية حيث يكون الوعيد واقعا على مجرد حدوث المقاتلة حتى وإن لم يتبع ذلك قتل للآمرين بالقسط.

(5)- تلوا – تلووا :

قال تعالى:(فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً) (النساء:135) .

وقد جاء في قراءة كلمة (تلووا) روايتان؛ الأولى بحذف الواو الأولى وضم اللام (تلوا)، وهي قراءة ابن عامر وحمزة، وقرأ الباقون (تلووا)، بإثبات الواو[36] .

التحليل المقطعي لبنية الكلمتين:

(تلووا): ص ح + ص ح ح.

فهذا الفعل ثنائي المقطع، واحد قصير (ص ح)، والأخر طويل مفتوح (ص ح ح).

(تلوا): ص ح + ص ح.

ويتكون هذا الفعل من مقطعين قصيرين، والكلمتان وإن اتحدتا في عدد المقاطع؛ إلا أنهما اختلفا في نوعيته .

فمن قرأ بواو واحدة فعلى" أنه فعل مضارع من (ولي يلي ولاية)، وولاية الشيء هي الإقبال عليه، وأصله (توليوا)، ثم حذفت الواو التي هي فاء الفعل على الأصل في حذف فاء الكلمة من المضارع .... ثم نقلت ضمة الياء إلى اللام، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، فأصبحت (تلوا) بحذف فاء الكلمة ولامها"[37] .

ومن قرأ بواوين فوجهه" أنه فعل مضارع من (لوى يلوي)، يقال: لويت فلانا حقه؛ إذا مطلته، وأصله(تلويوا)، ثم نقلت ضمة الياء إلى الواو التي قبلها، ثم حذفت الياء التي هي لام الكلمة لالتقاء الساكنين فأصبحت (تلووا) على وزن (تفعوا) بحذف اللام "[38].

هذا هو التوجيه اللغوي للحذف والإثبات في الروايتين؛ وهو ما انعكس على دلالة الآية، فعلى حذف الواو يكون المعنى" إن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها"[39]، أي إن قبلتم أداء الشهادة، أو رفضتم القيام بها فإن الله بصير بفعلكم هذا.

ومن قرأ بإثبات الواو فإن معنى الآية " وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل، أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعونها، فإن الله بصير بذلك "[40]، وفي معنى هذه القراءة ثلاثة أقوال : أحدها :أن يلوي الشاهد لسانه بالشهادة إلى غير الحق ...والثاني أن يلوي الحاكم وجهه إلى بعض الخصوم أو يعرض عن بعضهم ...والثالث أن يلوي الإنسان عنقه إعراضا عن أمر لكبره وعتوه"[41] .

(6)- فارق – فرق:

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ) (الأنعام:159) .

في هذه الآية تحذير للمسلمين من التفرق في أمور الدين، وأن من فعل ذلك فلست منهم يا محمد – صلى الله عليه وسلم – في شيء، فأنت بريء منهم، وهم منك براء، أو لست في قتالهم في شيء، وقد جاء هذا التحذير في صورة الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو موجه إلى أتباعه المسلمين، وقال بعض

المفسرين أن المخاطبين بالآية هنا اليهود والنصارى، وقيل هم المشركون، وقيل بل هو عام في سائر الملل[42] .

وقد جاء في الآية قراءتان؛ الأولى (فارقوا) بإثبات ألف بعد الفاء، وهي قراءة حمزة والكسائي، والثانية (فرقوا) بحذف الألف، وهي قراءة الباقين[1] .

التحليل المقطعي لبنية الكلمتين:

(فارقوا) : ص ح ح + ص ح + ص ح ح .

هذه الكلمة ثلاثية المقطع: الأول طويل مفتوح، والثاني قصير، والثالث طويل مفتوح .

(فرقوا) : ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح ح .

وهي كلمة تتكون من أربعة مقاطع: الأول طويل مفتوح، والثاني قصير، والثالث قصير، والرابع طويل مفتوح .

ويمكن ملاحظة الفروق المقطعية بين الكلمتين من حيث العدد، مع اتفاقهما في النوعية؛ وكذلك فإن بين الكلمتين فرق دلالي انعكس على الدلالة العامة الآية تبعا لإثبات الألف وحذفها ، فكلمة (فرقوا) صيغة فعلية، وهي من التفريق، أي تفرقت آراؤهم وقناعاتهم في دينهم بعد أن كانوا متوحدين، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض[2] .

وأما (فارقوا) فهي من المفارقة، إحدى صيغ الأسماء، ومعناها ترك الشيء بالكلية، أي أنهم تركوا دينهم وباينوه بعد أن كانوا مؤمنين[3] .

ويؤخذ من هذا الفرق بين القراءتين معنى دقيقا؛ فعلى قراءة (فرقوا) يؤخذ منه أنه لا يلزم من التفرق في الدين مفارقته والخروج منه، فقد تنفرد طائفة برأي ما أو تتبع عقيدة ما لكنها لا تعد بذلك خارجة عن دائرة الإسلام، بل تظل ضمن الإسلام، وإن كان هذا الأمر مذموما، أما قراءة (فارقوا) التي تعني الترك، فهي تعني الخروج من الإسلام بالكلية .

7 – (فكهين – فاكهين):

قال تعالى: (وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ)(المطففين:31) .

الآية تتحدث عن المشركين وأعمالهم التي استحقوا بسببها أن يدخلوا النار، وأن من بين هذه الأعمال أنهم كانوا يسخرون من المؤمنين ويجعلون الاستهزاء بهم حديثهم في مجالسهم وبين أهليهم .

وقد جاء في هذه الآية روايتان، الأولى (فاكهين) بإثبات الألف، وهي رواية جميع القراء باستثناء ابن عامر الذي قرأ بالوجه الثاني؛ وهو (فكهين) بحذف الألف[4] .

التحليل المقطعي لبنية الكلمتين:

(فكهين): ص ح + ص ح +ص ح ح + ص ح

فهذه الكلمة رباعية المقطع: الأول والثاني مقطعان قصيران، والثالث مقطع طويل مفتوح، والرابع مقطع قصير .

(فاكهين) : ص ح ح +ص ح + ص ح ح + ص ح

فالكلمة أيضا رباعية المقطع الأول مقطع طويل مفتوح، والثاني قصير، والثالث طويل مفتوح، والرابع قصير.

ونلاحظ أنه على الرغم من اختلاف الصيغتين في إحدى الكلمتين؛ إلا أنهما حافظتا على الوحدة المقطعية، من حيث العدد والنوعية، فكلاهما مكونان من أربعة مقاطع ، ونوعية هذه المقاطع هي إما قصير، أو طويل مفتوح ، والخلاف فقط في توزيع هذه المقاطع وترتيبها .

أما من حيث الدلالة فنجد فرقا دلاليا بين الكلمتين، فمن قرأ (فكهين) فهو جمع فكه؛ ولها عدة معان[5] :

1- الفكه: الذي ينال من أعراض الناس .

2- فكه من كذا وكذا ، وتفكه: عجب .

3- الفكه: الأشر البطر .

وبكل هذه المعاني فسرت الآية؛ فعلى القول الأول يكون معنى الآية أن أولئك المجرمين أو الكفار كانوا إذا رجعوا إلى بيوتهم وأهليهم تحدثوا عن المؤمنين بسببهم والطعن في أعراضهم ، وذكرهم بالسوء.

وأما على القول الثاني فإن معنى الآية أن أولئك المجرمين أو الكفار، كانوا إذا رجعوا إلى أهليهم تحدثوا عن المؤمنين وهم متعجبون من حالهم وأحوالهم، أو وهم معجبون بما هم عليه من الكفر، وعلى القول الثالث يكون معنى الآية أن أولئك المجرمين كانوا يرجعون إلى بيوتهم وأهليهم وهم في حالة من التبختر والطغيان[6] .

وهكذا يمكن أن نلاحظ أن كل هذه المعاني لكلمة (فكه) يمكن أن تفسر بها تلك الآية، وهي معاني تتفق مع الحال التي كان عليها الكفار مع المؤمنين .

فإذا انتقلنا للحديث عن القراءة الثانية؛ وهي (فاكهين)، فإننا نجد لها عدة معان :

1 فاكه: من الفكاهة؛ وهي المزاح، وفكه الرجل فهو فكه، إذا كان طيب النفس مزاحا .

2- فاكه: أي ناعم، من النعيم .

3- فاكه: يقال تركت القوم يتفكهون بفلان؛ أي يغتابونه ويتناولون منه .

وبهذه المعاني فسرت الآية، فعلى القول الأول يكون معنى الآية أن أولئك المجرمين كانوا إذا رجعوا إلى بيوتهم اتخذوا من الحديث عن المؤمنين مجالا للتمازح والسخرية ، متلذذين بذكرهم والضحك منهم[7] .

وعلى القول الثاني فإن معنى الآية أن أولئك المجرمين إذا رجعوا إلى أهليهم بعد استهزائهم وتغامزهم بالمؤمنين؛ رجعوا ليتنعموا بأموالهم،" أي متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر والتنعم بالدنيا "[8] .

وأما على القول الثالث فمعنى الآية فيه يتفق مع أحد معانى القراءة الأولى، وبكل هذه المعاني للكلمتين يمكن تفسير الآية بها، والقراءتان في عمومهما تصفان حال الكفار مع المؤمنين، وهو وصف متعدد الأحوال يجوز وصفهم فيه بكل المعاني الدلالية للقراءتين .

الخاتمة:

نخلص من خلال هذا البحث إلى الآتي :

أولا: أن ظاهرة التغير الصرفي في الكلمات القرآنية تظهر جليا في القراءات القرآنية، حيث نجد اختلافا وتنوعا بين القراءات في قراءة الكلمة الواحدة بعدة أوجه، باختلاف الصيغة الصرفية لكل قراءة، ولكل كلمة أو صيغة خصوصيتها الدلالية، الأمر الذي انعكس على دلالة الآية وتفسير معناها .

ثانيا: يظهر مما تم تناوله أن تعدد قراءة الآية القرآنية أنتج معاني متنوعة، لكنها في ذات الوقت ليست معان متضادة أو متعارضة، بل هي معاني ودلالات تحتملها الآية وتضفي عليها توسعا دلاليا

ثالثا: تنوع المقاطع الصوتية للكلمات القرآنية التي جاءت قراءتها بأكثر من وجه، فبعض تلك الكلمات احتفظت بنفس المقاطع عددا ونوعا، وبعضها الآخر اختلفت فيها المقاطع سواء من حيث العدد أو النوع، والمقاطع الصوتية وإن كانت لا تمس الدلالة بشكل مباشر إلا إنها تعطي مؤشرا صوتيا في جرس الكلملة من حيث القوة والضعف، وهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة أخرى تبين أهمية مقاطع الكلمة القرآنية وبيان ما تحدثه من أثر صوتي يلقي بظلاله على المعنى .

الهوامش

[1]- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد الاستراباذي، ج1 ، ص2 .

[1]- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد أحمد هنداوي،ص 22، وينظر اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص144 .

[1]- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي، ص14 .

[1] - ينظر اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 145؛ الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي،ص22 .

[1] - معاني الأبنية، فاضل صالح السامرائي، ص5 .

[1]- ينظر أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، ص158، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي، ص45 .

[1]- ينظر أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، ص158

[1] - المقطع هو مجموعة من الأصوات التي تمثل القواعد الصوتية لبنية الكلمة، تتكون من أصوات صامته تسمى الهامش؛ وأصوات علة تسمى قمة؛ وتنقسم المقاطع في العربية إلى خمسة أنواع: أ- قصير مفتوح، ويتكون من صامت وحركة قصيرة، مثل :(كَ)، ورمزه (ص ح)، ب – طويل مفتوح، ويتكون من صامت وحركة طويلة، مثل :(ما)، ورمزه (ص ح ح) ، ج – قصير مغلق؛ ويتكون من صامت وحركة قصيرة وصامت آخر، مثل: (لم)، ورمزه (ص ح ص)، د- طويل مغلق، ويتكون من صامت وحركة طويلة وحرف صامت، مثل مقطع (مان) من كلمة(زمان)، ورمزه (ص ح ح ص)، هـ- قصير مغلق بصامتين، ويتكون من صامت وحركة قصيرة فحرفان صامتان، مثل (بنت)،

ورمزه(ص ح ص ص)، ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص161؛ المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، ص38؛ علم الأصوات، كمال بشر، ص501.

[1]- ينظر النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري، ج1، ص213 .

[1]- الموضح في وجوه القراءات وعللها، الشيرازي، ج1، ص230 .

[1]- المصدر نفسه، ج1، ص230 .

[1] - التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج1، ص192 .

[1] - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، محمد بن علي الشوكاني،ج1، ص 26 .

[1]- ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي،ج1، ص 61 .

[1] - تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي،ج1، ص70 .

[1]- ينظر مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي،ج1، ص 61 .

[1]- ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، ص279 .

[1] - ينظر لسان العرب، ابن منظور، مادة (حسن) .

[1]- ينظر مفردات ألفاظ القرآن،الراغب الأصبهاني،ص234 .

[1]- ينظر المصدر نفسه، ص236 .

[1]- ينظر إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس،ج4 ، ص108.

[1]- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي،ج9، ص141 .

[1] - المصدر نفسه، ج9، ص141 .

[1]- ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري،ج2، ص173 .

[1]- الموضح في وجوه القراءات وعللها،الشيرازي، ج 3، ص337 .

[1] - المصدر نفسه، ج 3، ص 337؛ وينظر الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي،ج2، ص353 ، 354 .

[1]- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مج2، ج2 ، ص477 ، 478، وينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج2، ص838 .

[1] - التفسير الكبير، الرازي،ج6، ص161 .

[1]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسي،ج2، ص173 .

[1]- ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج 2، ص179.

[1]- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج3، ص24.

[1]- - ينظر معاني القراءات، أبو منصور الأزهري، ص97 ؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج3، ص 279 .

[1]- ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري،ج 2، ص191 .

[1]- المغني في توجيه القراءات العشر، محمد سالم محيسن، ج1،ص288.

[1]- المصدر نفسه، ج1، ص288.

[1]- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، ج1، ص287.

[1]- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج1، ص288 .

[1]- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين ابن الجوزي، ج2، ص223.

[1] - ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن،الطبري،ج24، ص303؛ التفسير الكبير،الرازي،ج1، ص92 ؛ زاد المسير في التفسير،ابن الجوزي،ج9، ص61.

[1]- ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري،ج2، ص200 .

[1]- ينظر البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج4، ص212 .

[1]- ينظر المصدر نفسه، ج4، ص212؛ معاني القرآن، الأخفش، ج2، ص 509.

[1]- ينظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري،ج 2، ص 265 .

- ينظر لسان العرب، ابن منظور، مادة (فكه) .[1]

[1] - ينظر التفاسير الآتية: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج15، ص138؛ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، ج8 ، ص139؛ التفسير الكبير،الرازي، ج31، ص102؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد البغدادي، ج4، ص 406 ؛ زاد المسير في التفسير، ابن الجوزي،ج7 ، ص28.

[1]- ينظر البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي،ج8، ص332 .

- التفسير الكبير، الرازي،ج31 ، ص32 .[1]

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

1- الأحرف السبعة للقرآن، أبو عمرو الداني، تح: عبد المحسن طحان، دار المنارة للنشر والتوزيع، جده، 1997.

2- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي، عالم الكتب، إربد، الأردن، 2012.

3- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2008.

4- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تح: زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، 1977.

5- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، 1992.

6- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ.

7- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، لاطب، لا تا.

8- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن احمد بن جزي الكلبي الغرناطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

9- تفسير الشعراوي، محمد الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1991.

10- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.

11- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار غحياء التراث العربي، بيروت، 2001.

12- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

13- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

14- دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1997.

15- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، أبو الفضل محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999 .

16- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين ابن الجوزي، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002 .

17- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي، تح.محمد نور حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لاطب، لاتا .

18- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999 .

19- علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2000 .

20- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الكلم الطيب، دمشق، 1998 .

21- لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

22- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لاطب، لاتا .

23- معاني الأبنية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، 2012 .

24- مجمع البيان، الفضل بن علي الطبرسي، مؤسسة الأعظمي للمطبوعات، بيروت، 1995 .

25- معاني القراءات، أبو منصور الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999 .

26- معاني القرآن، الأخفش سعيد بن مسعدة، تح:عبد الأمير محمد أمين، عالم الكتب، القاهرة، 1985 .
27- مفردات الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: عدنان داود، دار القلم، دمشق،1992 .
28- المقنع في معرفة رسوم الأمصار، أبو عمرو الداني، تح: محمد احمد دهمان، دار الفكر، بيروت، 1983 .
29- الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي الشيرازي، تح: عمر حمدان الكبيسي، منشورات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن، 1993 .
النشر في القراءات العشر، أبو الخير محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، 201